

## التعليم حسب المناهج القديمة و مقاصد ها فى عصرنا الحاضر

القاضى محمد عبدالقدوس

( ١ )

وبعد فقبل البداية بالموضوع ارى من المستحسن ان اسم المامة بتاريخ علوم الدين فى القرون الاسلامية الاولى . ان العلوم التى اشتغل بها المسلمون منذ بدء تاريخهم هى العلوم التى نبتت من كلام الله الحكيم فكان هذا الكتاب الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه مركز انظارهم وافكارهم اياه يقرءون واليه يستمعون وينظمه يهتمون وعن معانى كلماته يبحثون وفى ما يحويه من المطالب يتدبرون وفى مصاحفه يعلمون ويتعلمون .

ولذلك فان اول العلوم التى تداولها المسلمون هو علم التفسير وكان اول ما ظهر منه شرح كلمات القرآن ولغاته ثم انضم اليه التفسير بالمأثور و كما اهتم المسلمون بالقرآن الحكيم فكذلك اهتموا برواية الحديث النبوى اذ كانوا يتعلمون منه ما يهمهم من مسائل دينهم وما شغفوا به من احوال نبيهم فكان الكتاب والسنة هما المصدر ان لما انشعب فى القرون التالية من علوم المسلمين كالتجويد وعلم اللغة والاعراب والفقهاء واصوله وعلوم التفسير وعلوم الحديث بتفاصيلها وعلم السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى وغيرها .

وكان اعتماد المسلمين فى هذه العلوم على الرواية لا يلتجئون الى

الرأى الا اذا اضطروا اليها ولذلك فانهم قسموا ما يبلغ اليهم من كلام اهل العلم الى علم ورأى حتى ان المجتهدين الذين حاولوا التطبيق بين الروايات فالولوا بعضها اشتهروا باصحاب الرأى كالامام ابى حنيفة والامام مالك ومن نحا نحوهما رحمهم الله .

ولما اختلط علماء المسلمين بالمتقفين من غير المسلمين وبالذين دخلوا منهم فى الاسلام حديثا وكانت لهؤلاء دياناة قديمة ربما حاولوا المدافعة عن بعض مبادئها تبادلت الآراء وقامت المناظرات والمباحثات واضطر العلماء الى ان تكون لهم دلائل من العقل يدافعون بها شبهات غير المسلمين وشبهات من تأثر بهؤلاء من اهل الاهواء والزيغ الضالين وسمى هذا النوع من العلم كلاما ومن تخصص متكلما وصاحب كلام ولم يكذ ينتهى القرن الاول حتى وصلت الى المسلمين عن طريق الترجمة علوم اليونان وكان اول ما شغفوا به منها هو علم الكيمياء كما يحكى عن خالد بن يزيد اول من اشتهر فى المسلمين بالعناية به ثم تعدت هذه العناية الى غيره فترجمت علومهم ورسائلهم فى ما بعد الطبيعة من الالهيات وفى ما يسمونه ما يعم الاجسام وفى الكليات والطبيعات والمنطق وغيرها وكان بعض ما ابدى من الآراء فى هذه الرسائل مخالفا لما ورد به الشرع ويمس العقيدة الاسلامية مباشرة فكانت النتيجة ان نشأ فى المسلمين احزاب حزبا آمن بكل ما فى هذه العلوم التى يسمونها علوم الاوائل وشك فى العقيدة الاسلامية فتزندق واستبطن الكفر . وحزب وافق ما اعتقده هؤلاء الاوائل ولكن لم تسمع نفسه ان يترك العقيدة الاسلامية رأسا فأول النصوص وحاول التطبيق بين الفلسفة والدين الاسلامى وهؤلاء هم الفلاسفة من المسلمين واخرون دافعوا عن العقيدة الاسلامية حسب ما شاءت عقولهم فاذا لم توافقهم عقولهم فى قبول بعض النصوص من السنة انكروها وهؤلاء هم المعتزلة وبازاء هؤلاء كلهم حزب ثبت على اتباع الكتاب والسنة

وانكر كل ما خالفهما واجتهدوا فى مدافعة اهل الزبغ بالدلائل من العقل والنقل فاذا لم يستطيعوا ان ييكتوا الخصوم فحسبهم من الايمان ان يقولوا آمنا بما انزل الله وان الله يعلم والناس لا يعلمون هؤلاء هم اهل السنة والجماعة من اهل الحديث والاشاعرة والماتريديّة .

وكان ميدان الاشاعرة والماتريديّة فى البحث والمناظرة المدافعة عن شبهات اهل الاعتزال وحفظ العقيدة كما هى مثبتة فى ظواهر الكتاب والسنة اما الفلاسفة فكانت آراؤهم بمعزل عن توجه انظار اصحاب الكلام الى ان جاء الامام الغزالي رحمه الله تعالى فبسط اقوال اهل الفلسفة فى كتابه مقاصد الفلاسفة ثم رد على ما يخالف الشرع منها فى كتابه الاخر تهافت الفلاسفة (١) .

ومن الجدير بالذكر ان الامام الغزالي وان كان حاول دمج اراء الفلاسفة بجهوده ورسائله وكتبه وتابعه فى ذلك بعده الامام الرازى ولكن المرض الذى تسرب الى المسلمين من هذه الاهواء لم يزل ولا يزال يجد انصارا يدافعون منهم ويقولون باقوالهم مع بعض التعديل عليها ولذلك فان القارى سيجد فى المعاهد على المنهج القديم فى شبه قارة الهند وباكستان رجالا مكبين على ما كتبه ابن سينا و من بعده فى هذه العلوم بحجة انا نقرأها و سنرد عليها ، ولا يعلمون انه لم يبق ولا فى يونان من تهمة هذه الآراء او يحاول ان يدافع عنها .

( ٢ )

### الدولة العربية فى السند والدولة الغزنوية

ان العلوم الدينية رواجها فى الهند قديم فقد كانت فى القرون الثانى والثالث والرابع فى السند دولة عربية شاعت تحت اثرها اللغة العربية فى هذه البلاد كما هو ظاهر من اللوح الحجرية المستخرجة من حضريات المدن القديمة مثل ديبيل و بهمبور بقرب كراتشى ويحكى لنا

الاصطخري وابن حوقل والمقدسي ان اهل الاسواق في منصوره و ديبيل والملقان كانوا يتكلمون باللغتين العربية والسندية (٢) ويقول الاستاذ ممتاز احمد بتان ان الادب الدينى له مساهمة كبيرة فى رقى الادب العربى وتوسعه فى السند فقد كانت الفت بالعربية الكتب الدراسية كما كانت الفت كتب فى تفسير القرآن وشرح الحديث النبوى وكانت المساجد مراكز للدرس والتعليم فى طول السنة وعرضها ومن اشهرها المراكز الدينية فى منصورة وديبل وقصدار (٣) ولقد كتبت حديثا عن موضوع رواج العلوم الدينية فى السند فى صدر الاسلام وعمن خرج منها من العلماء مقالات والفت كتب من اشهرها رجال السند والهند للقاضى اطهر المبارك فورى .

اما شمال شبه القارة و خصوصا شمال الباكستان الحالية فقد دخلها الاسلام فى القرون الثلاثة الاول ولا يوجد عن القرنين الاولين الى اثر منقوش او مكتوب اما القرن الثالث فيوجد منه لوح منقوش عليه بالعربية والخروشية ووجد هذا اللوح فى بعض الحضريات فى وزيرستان فى اقليم الحدود من باكستان ويعتبر هذا اللوح اقدم اللوح المكتوبة بالعربية فى شبه قارة الهند وكتب سنة ١٤٠٣هجرية (٤) غير ان التاريخ ساكت عن تفاصيل هذه الاثار .

اما التفاصيل التاريخية عن دول المسلمين فى شمال الهند فانما يبتدى بالدولة الغزنوية عموما و بالسلطان يمين الدولة محمود الغزنوى رحمه الله خصوصا وقد غزا الهند غزوات عديدة لا تقل عن عشرين غزوة والحق مقاطعة بنجاب من الهند بدولة غزنى وعين نائبا عنه فى لاهور عاصمة بنجاب قديما وحديثا .

كان محمود الغزنوى ملكا دينا يعتقد عقيدة اهل السنة ويتمسك فى الفروع بالفقه الحنفى وكان يحترم العلماء والزهاد فلما استولى على الهند حبب الى العلماء ان يزوروا الهند فيجعلوها مركزا لنشاطهم الدينى التبشيري وكانت نتيجة ان نرى لاهور فى القرن الخامس وما بعده مجتمعا ثقافيا

للعلماء والوعاظ والصوفية ينتقلون اليه من ايران حبا في نشر العلم وتبليغ الدين  
كان الادب الدينى في هذه الدورة ممزوجا فكانت الكتب الدراسية  
والعلمية تكتب بعضها بالعربية وبعضها التى اريد بها افهام العوام بالفارسية  
وكانه كان نتيجة لتغلب اثر الشعوبية فى انحاء ايران وضعف اثر الخلافة العباسية  
على ان هذه الفارسية كانت ممثلة بالكلمات العربية وامثالها والجملة  
المختارة من نصوص الكتاب والسنة ومع ذلك فسان الفارسية اثرت على  
العربية فلم تكن عربية الكتب المؤلفة فى هذه الدورة معجبة اعجاب عربية  
السند فى القرون قبلها .

وايا ما كانت حالة العربية فان الادب الدينى العربى والفارسى ازدهر  
وازداد عدد العلماء الذين نشروا الدين والعلم ومن اشهرهم الشيخ اسماعيل  
اللاهورى المتوفى سنة ٤٤٨ هـ - ١٠٥٢ م الذى يقال عنه انه اول من روج  
التفسير والحديث فى شبه القارة اما منهاج التعليم فى عهد الغزنوية فلا  
نعرف عنه شيئا .

### سلاطين دهلى

كانت دائرة الدولة الغزنوية فى شبه القارة محدودة الى بنجاب فى  
الشمال الغربى ثم غزا الغوريون الهند فوسعوا دائرة الدولة الاسلامية الى  
الميادين الشمالية الواسعة وخلفهم فى الدولة المماليك الغوريون ومن  
اشهرهم قطب الدين ايبك الذى شرع فى بناء جامع عظيم فى دهلى سماه  
مسجد قوة الاسلام وبنى له منذنة رفيعة شامخة لاتزال تشهد بعظمة بانيها  
وهى تعد من عجائب الهند يزورها السياح فيتعجبون من طولها و حسن  
بناءها واحكام صنعتها .

وخرم العلم فى هذه الدورة سلاطين الهند وامراءها وعلماءها والصوفية  
فكانت هناك مدارس ومراكز للعلم فى المدن الشهيرة امثال دهلى و  
لاهور و مولتان وادش واجودن وناكور و اجمير و بديون وجونفور وغيرها .  
وكانت منهاج التعليم فى هذه الدورة مثلها فى العراق وسوريا و ايران

وخراسان فكان بجوار كل مسجد كتاب يأتي اليه الاطفال فيتعلمون فيها قراءة القرآن الكريم ثم الخط ثم قواعد اللغة العربية وكان من احترام العلماء للقرآن الكريم انهم كانوا يعلمون الاطفال الخط بوساطة الامثال والاشعار ويجلون القرآن الكريم من ان تكون وسيلة لرياضة الاطفال في الخط العربي وكذلك كان من احترامهم للخط ان يعلموه بوساطة اللوح الخشبية يكتب عليها ثم تمحى وتغسل بعد الاستغناء عنها(٥)

وكانت فوق هذه الكتابات مدارس للعلوم الدينية منشرة في انحاء المملكة وربما لم تكن موسومة باسم خاص(٦) وكان منهج الدراسة في هذه المدارس منقسما الى قسمين القسم الادنى ويسمى النصاب الضروري والقسم العالى ويسمى نصاب الفضل ولم تصل اليها تفاصيل واضحة عن منهاج الدراسة في هذين النصابين والمقرر التعليمي فيهما غير انا نستنتج مما كتب في تراجم العلماء ان العلم الضروري كان مشتملا على قراءة القرآن الكريم ثم تعلم المسائل الضرورية من العقائد والعبادات وبعض ما يحتاج اليه من الادب العربي والفارسي وقواعد اللغة والحساب والجبر والمقابلة حتى تؤهل القارى للتوظيف في ديوان الحكومة وكانت الدرجة العليا من هذا القسم تدرس فيها الكافية لابن الحاجب والمفصل للزمخشري في قواعد النحو والمختصر للقنبري ومجمع البحرين لابن الساعاتي في الفقه الحنفي اما الكتب الأخرى في غيرهما من العلوم في هذا المستوى فلم تصل اليها اسماها .

وعمال الدولة من اناهم في الدرجة مثل الكاتب في الديوان الى اعلاهم من المديرين والمدرسين والقضاة والخطباء والواعظين والمحتسبين والقضاة كلهم كانوا يقرءون هذا المقرر التعليمي اولا ثم يشتغلون بما يهمهم من الكتب والدراسات وينتخبون ما يفيدهم في مهنتهم للمطالعة . وكان التدريب والتجربة في خدمة استاذ اعظم ما كانوا يهتمون به ويكتملون به . القسم العالى اعنى منهج الفضل فكان مشتملا على الكشاف

للزمخشري والهداية للمرغيناني وكنزالوصول للقاضي البزدوى ، ومشارك الانوار  
للساغاني ، ومصاييح السنة للبعوى ، وامثالها من الكتب الموسوعة  
المعتمد عليها وكانوا يصرفون سنين طويلا في سبيل تحصيل هذه الكتب  
ليحيطوا بمعانيها والفاظها درسا وبحثا(٧)

واظن ان نصاب المعقول من المنطق والحكمة لم يكن ممزوجا مع  
هذا النصاب الدينى وكان هناك مهرة في كتب المعقول من شاء راجع  
اليهم . ( راجع النزهة ٣ : ١٠٤ ١٢٥ ١٤٦ ) ومما كان يدرس فى المنطق  
رسالة الشمسية لنجم الدين عمر بن على القروينى المتوفى سنة ٦٩٣  
هـ - ١٢٩٤ م وفى الكلام الصحائف لشمس الدين محمد بن اشرف الحسينى  
السمرقندى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ م مفتاح العلوم للسكاكى .

ومما كانوا يهتمون به حفظ القرآن المجيد ولم يكن لذلك سن محدد  
بل كانت هناك حفاظ لكلام الله ياوى اليهم الطلاب فيحفظونهم من غير  
مبالاة بسن الطالب فيكون فيهم الصغار والكبار واكبر من ذلك كله اهتمامهم  
التربية الدينية فربما انكر المدرس على الطالب كلمة فرفض تعليمه  
لايام . ولذلك فقد وضعوا فى المنهاج كتباً فى الاخلاق والتصوف مثل  
العوارف للسهروردى وتأثر التعليم والتصنيف ببيئة العصر فاخذت كتب اصول  
الفقه وعلم الكلام صبغة منطقية فلا يجد العالم المبتحر بدا من ان ياءخذ  
من علوم المنطق والحكمة حظا وافرا ولذلك فان علماء دهلى وطلبتها  
كانوا يكبون على الشمسية والصحائف ولكن كانت العلوم العقلية ( من  
الكلام والمنطق والحكمة ) قد تقدمت تقدما بالغاً فى الاول المجاورة من  
ايران والعراق وغيرهما ولذلك فكان علماء دهلى يحسون هناك بفراغ فى  
هذه العلوم اذا قورنت بحالتها فى البلاد الاخرى وهذا الفراغ ملاءه  
الشيخ عبدالله الطلبنى فقد انتقل من ملتان الى دهلى و بسط هناك  
مائدة العلوم العقلية حتى اخذ اهل منها حظهم وقد لقبوا الشيخ بالقاب  
جليلة فقد وصفه احد المؤرخين باكليل العلماء وسراج الفضلاء وحيد عصره

فى المعقول والمنقول وفريد دهره فى الفروع والاصول .  
 وخلاصة ما عرضنا من تاريخ العلوم الى منتصف القرن العاشر من  
 الهجرة منهاج التعليم ههنا كان مزيجا من علم التفسير والحديث والفقہ  
 واصول الفقہ وقواعد اللغة والمعانى من ناحية ومن علم الكلام والمنطق  
 والفلسفة من ناحية اخرى مع شئى من الادب العربى والادب الفارسى  
 والحساب .

( ٤ )

### الدولة المغولية ، نهاية عهد اكبر

غزا بابر المغولى هذه الناحية فى الربع الثانى من القرن العاشر للهجرة  
 فانزع الملك من يد اللوديين ومضت ربع القرن فى توطيد اسس الدولة وضعظ  
 ثورة الافغان وكان منهاج التعليم فى البلاد جاريا على سننه الذى استن  
 عليه منذ القرن التاسع فبعدهما استقر لهم الملك بدؤا يشجعون ناحية العلوم  
 العقلية ودخل البلاد رجال من علماء ايران مستوغلون فى الاهتمام بالعلوم العقلية  
 فاصطبغت العلوم من النحو والبلاغة والاصول والكلام حتى التفسير بالصبغة  
 العقلية وكان رقى العلوم عبارة عن كتاب متن ثم شرح عليه ثم حاشية على  
 الشرح وحاشية على الحاشية مثاله العقائد النسفية شرحه التفتازانى وعليه  
 حاشية للمولى الخيالى وعليها حاشية للسيالكوتى والشرح والحاشية وحاشية  
 الحاشية كلها من كتب المنهج فى المدارس النظامية .

وكثرت مراكز العلم فى العواصم من دهلى ولاهور ومولتان وجونبور و اكبر  
 اباد واحمد آباد و بيجابور و برهانپور وتته و كشمير و منكلكوت والمدن  
 الشهيرة مثل امروهه وسهسوان وسنبيل و سرهند واحمد نكر و بلكرام و نارنول  
 و ناغور و بيانه وجنديرى و كلبركه و كولكنده و بيدر و مانكبور و منير و مند  
 سوروردولى وسهارنپور و خيراباد وغيرها - وفى كل هذه المراكز كانت  
 مدارس وكانت شهرة كل مدرسة حسب شهرة العالم الذى يدرس  
 فيه فلقد كان الهند مزدهرة بعلماء مدرسين ومصنفين وقضاة وخطباء ومبلغين



واصحاب الطريقة يلتف حولهم محبوا العلم من الطلبة والعوام المسلمين وغير المسلمين .

وكانت بجانب ذلك كتاتيب يدرس فيها النصاب الضرورى من القراءة والخط والحساب وانشاء المكاتيب والاخلاق بالفارسية يشغل المتخرجون منها بالكتابة فى الديوان الحكومى وكان يحضر هذه الكتاتيب المسلمون وغير المسلمين ( ولكن البحث عنها خارج عن موضوع مقالتنا وكانت من كتب المنهاج فى المدارس الدينية الكتب الآتية :-

قواعد العربية :- ميزان الصرف للجرجانى ، لب الالباب للبيضاوى الارشاد لشهاب الدولة ابادى وشرح كافية ابن الحاجب للجامى .  
الفقه :- كنزالدقائق للنسفى ، شرح وقاية الرواية مصدر الشريعة الهداية -  
للمرغينانى .

اصول الفقه :- المختصر للحسامى المنار سنفى كشف الاسرار للبيزدوى والتلويح للتفتازانى على التوضيح لصدر الشريعة .

الكلام :- شرح عقائد النسفى للتفتازانى والعضدية للايجى وحاشيتها للجرجانى وشرح المواقف للجرجانى .

البلاغة :- التلخيص للخطيب الشريينى وشرحاه المختصر المطول للتفتازانى وشرح المفتاح .

المنطق :- شرح الشمسية للرازى والتهديب للتفتازانى وشرحه للبيزدى وحاشية للدوانى وشرح مطالع الانوار للرازى وحاشية للجرجانى .

علم الفلك :- لسبت باب ( الابواب العشرون ) فى معرفة الاضطراب وشرح الجغمينى .

الهندسه :- تحرير اقليدس

المناظرة :- الرسالة الشريفة .

الحديث :- ( وكان يدرس فى نهاية العلوم ) الاربعون للنووى مشكوة

المصاييح . الشمائل للترمذى الجامع الصحيح للبخارى . الشفاء للقاضى  
عياض وفى بعض المدارس الصحاح السنة .  
التفسير :- انوار التنزيل للقاضى البيضاى والمدارك للنسفى .

( ٥ )

الدولة المغولية من جهانكير الى اورنك زيب

كانت المدارس العربية فى هذا العهد مثلها فى العهد المغولى الاول  
ولكن المنهج الضرورى الذى كان يدرسه المسلمون وغير المسلمين على  
السوية كان مليئا بالكتب الفارسية وحيث ان الفارسية كانت مملوءة  
بالكلمات والتراكيب العربية وامثال سائرة بالعربية كان المتعلمون فى هذا  
المنهج من غير المسلمين قادرين على الكتابة بالفارسية ، وعن طريق  
الفارسية كانوا يعرفون اشياء غير قليلة من العربية .

اما العلوم الدينية فلم يزل المدارس التى تبني لتدريسها فى ازدياد  
حتى بلغت ذروتها فى عهد السلطان العالم الزاهد الفقيه المتصلب فى  
الدين اورنك زيب رحمه الله رحمة واسعة واجرى هذا السلطان  
اجراءات واسعة على الطلبة واقطع الاقطاعات على المدارس  
والمدرسين . وقلت الروابط بين علماء ايران والهند فاكتفى علماء الهند  
من علوم المعقول والاصول بما قد وصل اليهم من كتب العلوم  
قبل ذلك وزادوا عليها شروحا و حواشى من اقلامهم فدرسوها ولذلك  
نرى فى هذا العهدان دخل فى المنهج شرح المنار فى اصول الفقه  
للشيخ احمد استاد اورنك زيب وسلم العلوم فى المنطق بمحب الله البهارى  
ومسلم الثبوت فى اصول الفقه له وحاشية القاضى ميرزاهد الهروى على  
الرسالة القطبية وشرح الميبدى على هداية - الحكمة بجانب شرح الصدر  
الشيرازى عليها والشمس البازغة للجونبورى - والمرقاة لفضل امام الخير  
ابادى والهداية السعيدية لنجلة عبدالحق الخير آبادى .

ومن اعجب العجائب اكتاب المدرسين والمصنفين على سلم العلوم

محب الله البهاری فاکثروا من الشروح عليها مثل شرح الملايين والملاحسن وعبدالعلی بحر العلوم و حمدالله السندیلوی والقاضی مبارک الکوفاموی وكل هذه الكتب كانت تدرس فی المدارس الدينية فصارت معبأة اعمل تحت اثقال هذه العلوم وقل التوجه الى العلوم الدينية .  
 والمنهج الرائج الان فی المدارس الدينية معروف بالدرس النظامی ويقولون ان هذا المنهج منسوب الى الشيخ نظام الدين السهالی وكان ابوه قطب الدين السهالی عالما كبيرا كان قد وضع لتلامذته منهجا ميزته انه كان مشتملا على كتاب متوسط فی كل فن يدرسه ثم زاد عليه ابنه نظام الدين السهالی كتابا ثانيا فی كل فن فكان المقروء فی كل فن كتابين ونسب هذا المنهج الى الشيخ نظام الدين السهالی الذى انتقل الى لکناؤ الهند واشتهر اولاده واحفاده بعد ذلك بعلماء فرنکی محل لکناؤ وكان لهم صيت كبير ومن اشهرهم فی القرن الماضی مولانا عبدالحی اللکنوی الذى اعتنى الاستاذ عبدالفتاح ابو غدة باخراج كتبه وعرضه على السوق العربی فی ثوب قبشيب جميل وطراز مطلی ومذهب .

ولكن لم يبق المنهج محدودا الى الكتب التى وضعها فيه السيد نظام الدين السهالی بل زاد فيه العلماء من بعده كتباً شغفوا بها كما قد مناه ومع ذلك فكان المنهج خلوا من كتب الحديث والعناية بدراسته كما يظهر مما مضى ولكن من منن الله تعالى على مسلمی الهند ان وفق حبرا نحريرا من علماءها ان يزور الحرم الشريف فيحدث فى علوم الهند ثورة بزيارته وهذا الحبر النحرير هو الشاه ولى الله الدهلوی الذى زار الحرم فى منتصف القرن الثانى عشر للهجرة وتلمذ على الشيخ محمد بن ابراهيم الكردي المدنى ورجع الى الهند فوجه انظار الناس الى الشغف بعلوم القرآن وعلم الحديث النبوى وعلم اسرار الدين . فتعرف علماء الهند بوساطة الشاه ولى الله الدهلوی كتب الحديث وبالاخص الموطا للامام مالك رحمه الله الى الصحاح الستة التى كانوا قد داوولوها من قبل وهكذا تدرج المنهج القديم

الى نهاية العهد المغولى فى القرن الثالث عشر الهجرى .  
 وخلاصة القول فى المنهج الدراسى الى منتصف القرن الماضى ان  
 المدارس الدينية كانت على منهج واحد تدرس فيها كتب قواعد اللغة  
 العربية والفقه واصول الفقه والادب العربى والكلام والمنطق والفلسفة باقسامها  
 والحديث والتفسير وكانت الى جانب ذلك كتاتيب ومدارس يتعلم  
 الصبيان فيها قراءة القرآن والخط واللغة الفارسية وانشاء المكاتيب  
 فيستعدون بها لخدمة المكاتب الادارية كما انه كانت هناك مدارس  
 لتحفيظ القرآن الكريم وتجويد القراءة ولسيطرة اللغة العربية والفارسية  
 على الادارة ومراكز الثقافة كان اهل الهند من المسلمين والهنداكة  
 منصبين بصبغة ثقافية متحدة يحاورون فيما بينهم فتجرى على السنتهم  
 الامثال باللغة الفارسية والاشعار الفارسية من كتب الادب الفارسى حتى  
 ان المثقفين من الهنداكة كانوا يؤلفون فيبتئون بالقسميه والحمد ونعت  
 الرسول . والمنهج التعليمى وان كان منقسما الى اقسام القسم العام  
 الذى يشترك فيه المسلمون وغير المسلمين وقسم خاص يختص بعلماء  
 المسلمين وقسم آخر خاص يختص بعلم الهنداكة القديمة ولكن  
 السيطرة كانت للعلوم الاسلامية ، وكانت هى المثل العليا فى الثقافة وكانت  
 الدولة تمد علماء المسلمين بوظائف واجراءات واقطاعات كما ان  
 هناك علماء كانوا يكتفون بما يجدون من القوت تحت الوسائل الحرة .

( ٦ )

لما تسلط الانكليز تسلطا كاملا فى منتصف القرن الماضى دبر فى ترويج  
 المنهج الدراسى الجديد اما المنهج القديم فكان من سياستهم فيه ان  
 انشأوا اولاً مدارس غيروا فيها المنهج القديم فادخلوا فيها اشياء تهمهم  
 واخرجوا منها اشياء تهم المسلمين . فمثلا انشأوا فى لاهور كلية باسم الكلية  
 الشرقية كان منهجه فى الدرجة العالية كما يأتى .

١ :- البلاغة ( شرح التلخيص المطول للتفتازانى )

٢ : - الادب العربي : المقامات للحريرى - ديوان الحماسة - ديوان المتنبى - عروض المفتاح .

٣ : - المنطق والفلسفة والمناظرة : شرح السلم لحمدالله و شرح للقاضى مبارك والرسالة الرشيدية وشرح هداية الحكمة للصدر الشيرازى .

٤ : - الفقه : - الهداية للمرغينانى ومضافا الى ذلك بيان بعض المطالب من الكتب المعتبرة .

ولم يكن علم التفسير والحديث مما يدرس فيها - وان كانوا ادخلوها فى ما بعد فى المنهج لما رأوا شدة رغبة المسلمين فيها . فلم يكتب المسلمون بماهياً لهم الانكليز من المدارس وأنشأوا من عند انفسهم مدارس اهلية لدراسة الدين ، كان منهجها حسب ما قدمنا فى اواخر الدولة المغولية تقريباً ومن اشهر هذه المدارس دارالعلوم بديوبند التى اشتهر صيتها فى انحاء العالم الاسلامى فقصدها الطلاب المسلمون من مختلف أرجاء الهند ومن افغانستان وقازان و تركستان وجاوا وملايو وسيلان واشتهرت دارالعلوم فى الهند فكانوا يسمونها ازهر الهند . وكانت بازاء ذلك مدارس صغيرة وكبيرة غيرها كمظاهر العلوم بسهارنپور ومدرسة فرنكى محل بلكناؤ وغيرهما .

ولكن الكثرة الغالية من سكان شبه القارة اقبلت على مدارس المنهج الدراسى الجديد حيث كانت فيها ما يفيدهم فى المعاش اذ كانت تؤهلهم للانسلاک فى الوظائف الحكومية وسلكت السلطة الاجنبية مسلك فرق تسد فقربت اليها الهنادكة وبذلك انشأت فى قلوب المسلمين منافسة حيث سارعوا الى التعلم على المنهج الجديد حتى ياءخذوا حصتهم من الوظائف الادارية .

هذه اسباب جعلت المهتمين بمسئلة التعليم من المسلمين حزينين - حزب اقبل على المنهج الجديد حيث اهلهم للتثقف بالثقافة الجديدة وللتوظيف فى المناصب الادارية ولمعرفة العلوم الجديدة التى لا بد منها فى قوام الدولة

حسب النظم المعاصرة - ولكن المنهج الجديد كان رائجا تحت النظام العلماني اللاديني ولم يكن للدين وتعليمه مقام فى الخطة المقررة للدراسة فكان الجيل الذى نشأ فى هذا النظام بعيدا عن معرفة الدين مبادئه وضرورياته لا يهمله الا المعاش - الطعام واللباس والمال والجاه يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ( وشابه المثقفون منهم الفلاسفة فى القرون الاولى يميلون الى آراء اهل الغرب فيستبطنون الكفر والالحاد او يؤولون النصوص مثل تاءويل الفلاسفة لها ) .

اما الحزب الآخر الذى كان متمسكا بالمنهج القديم فقد كان محافظا على كيان الملة ومبادئ الدين حسب ما استطاعوا تحت السيطرة الاجنبية آثروا الحياة الآخرة فى اكثر احوالهم على الحياة الدنيا شعارهم وديارهم علوم القرآن والسنة والفقه وغيرها من العلوم القديمة التى كانوا يسمونها العلوم الآلية شأنهم فى ذلك شأن السلف من اهل السنة. ولكنهم بمحافظتهم وتمسكهم بالقديم اصبحوا بعيدين عن العلوم الجديدة التى كانت قد قلبت التصورات القديمة ظهرا لبطن فمثلا انهم كانوا ولا يزالون يدرسون فى كتبهم ان القمر فى السماء الاولى والشمس فى السماء الرابعة والكواكب فى السماء الثامنة ( وهى الكرسى بلسان الشرع ) وتحيط بهذه الثمانية السماء التاسعة ( وهى العرش بلسان الشرع ) ويدور فيدير كل السموات حول الارض وهى ساكنة . هكذا كان يفهمه بطلميوس منذ الاف سنين وهكذا فهمه اجلة العلماء الذين درسوا تحت المنهج القديم فى عصرنا الحاضر نشاء هذان الحزبان وكل بما لديه فرح فرمى الحزب الاول الثانى بالجهل بالعلوم المعاصرة ورمى الحزب الثانى الاول بالجهل بالدين وبالزندقة .

ثم احسن المفكرون من الامة بنقص فى كلا المنهجين فنادوا بضرورة التعديل فى كلا المنهجين بادخال علوم الدين فى المنهج الجديد وبادخال العلوم المعاصرة فى المنهج القديم ولبى هذا النداء من حزب

الله القائمون بامور التعليم فى الدولة العثمانية بحيدرآباد حيث جعلوا الدين حصة الازمة فى خطة الدراسة فى مدارج التعليم كلها كما انشأوا قسما خاصا بالدين فى المنهج الجديد يتألف من اللغة الانكليزية والعربية والفقه واصوله والتفسير والحديث ( وقد قدر لهذا التعديل بعض النجاح بواسطة العلماء الاعلام الذين عينتهم الحكومة للتدريس والاشراف عليه )

وكذلك لباه القائمون بامور جامعة على كر حيث جعلوا الدين حصة من الدراسات وانشأوا قسما يدرس فيه الدين ويمنح الفائز فى امتحانه شهادة البكالوريا فى الدين وحقا يقال ان هذه الجهود لم تنجح الا قليلا ولم يأخذ المتعلمون فى هذه الجامعات من علم الدين بنصيب نعم عرفوا من الاسلام اسمه فاحبره وهذه المحبة العاطفية هى التى حثتهم على الجهاد والكفاح فى سبيل الحرية وفى سبيل تأسيس الدولة الاسلامية المستقلة باكستان حفظها الله عن الشرور والآفات والضلال والخسران .

توجه النقد الى المنهج القديم فمن قائل انه غير مفيد يجب محوه ومن قائل انه مفيد الى حد ما ولكن يجب التعديل عليه وكان شبلى النعمانى احد المشاهير من العلماء من انصار الرأى الثانى فكتب عدة مقالات انتقد فيها المنهج القديم بما يأتى :-

( ١ ) ان الكتب المقررة فى المنهاج اكثرها تشتمل على مباحث لفظية لا علاقة لها بمسائل الفن فالمشغل بها يصرف اكثر اوقاته فيما لا يضيئه .

( ٢ ) وفى كثير من كتب المنهاج اختلطت الفنون المتعددة فيتشوش ذهن المتعلم ولا يستطيع ان يميز فنا من فن فمثلا سلم العلوم كتاب فى المنطق المقرر فى المنهاج قراءته وقراءة شروحه وهذه الشروح اكرت من مباحثات الالهيات التى تتعلق بعلم الفلسفة .

( ٣ ) ان المنهج جعل العلوم الآلية مقصودة بالذات واكثر منها على حين ان العلوم المقصودة بالذات وخصوصا التفسير لا يدرس منها الا كتب قليلة

( ٤ ) ان كتب القواعد كثيرة فى المنهج ولكنها لا تفيد الطالب فلا يستطيع المنتهى من هذه الكتب ان يكتب بالعربية ولوعدة اسطر .

( ٥ ) ان العلوم الجديدة فيها مسائل تمس ناحية من الدين لا بد من الرد عليها ولكن ليس فى المنهج ما يمكن الطالب من الاطلاع عليها ومن الرد عليها .

هذه الانتقادات لم يصغ اليها القائمون بادارة المدارس القديمة فائلين ان التغير فى المنهج يحدث صعوبات فى الادارة وعلى حين ان هذا المنهج القديم قد نجح فى تخريج العلماء الاجلة امثال عبدالعلى بحر العلوم ومولانا عبدالحي اللكنوى ومحمد قاسم الثانوى وامثالهم ولكن الضرورة كانت ملجئة الى الاصلاح والتعديل انتهض لها بعض اجلة العلماء واسسوا جمعية باسم ندوة العلماء والندوة اسست معهد باسم دارالعلوم ندوة العلماء وجعلت لها منهجا معد لا اكتفى فيه بقليل من كتب المعقول وزيد فيه من كتب الادب العربى ومن كتب المؤلفين القدامى ما يفيد الطالب مع شئى من اللغة الانكليزية والتاريخ وغيرهما ولكن القائمين بادارة الندوة كان فيهم من يؤول النصوص تأويلا غير مرضى ولذلك شبههم اصحاب المنهج القديم بالمعتزلة . وقد حدثت فى الندوة ثورة تعليمية فى النصف الثانى من هذا القرن فسلكت سبيلا مرضية تغلب عليها صبغة الدين والتقوى وذلك بفضل العلماء المتقين امثال السيد سليمان الندوى رحمه الله والشيخ ابى الحسن على الندوى ابقاه الله .

وخلاصة القول ان مناهج التعليم طول سيطرة الانكليز كانت منقسمة الى اقسام ثلاثة اولا المنهج الجديد يمثله الجامعات الحكومية والجامعات التى نشأت تحت اشراف الدولة المسيطرة مثل جامعة على كره وهذا المنهج كان خلوا من التعليم الدينى وخريجوها لا يقدررون للدين قدره الا قليلا والمنهج القديم المتحفظ تمثله دارالعلوم بديوبند تحت اشراف علماء احرار جهابذة امثال الشيخ محمد قاسم والشيخ محمود حسن والشيخ



انور شاه والشيخ حسين احمد والشيخ شبير احمد وهذا المنهج نجح في حفظ كيان الدين واحترام مبادئها و آدابها حتى ان بعض المبشرين من الفرنجة تعجبوا من استمساك اهل الهند المسلمين بدينهم وقالوا ان هذه نتيجة الجهود التي بذلتها دارالعلوم ديو بند ( والمدارس امثالها ) والثالث من المناهج هو منهج ندوة العلماء ونجح في اخراج علماء و مصنفين قادرين على ان يكتبوا كتابة عصرية يطمئن بها المتدينون من المثقفين بالثقافة العصرية ومن اشهرهم السيد سليمان الندوي والاستاذ ابو الحسن على الندوي .

( ٧ )

### المنهج القديم بعد تأسيس دولة باكستان

اسست باكستان سنة ١٩٤٧ م والحالة هذه . وحيث كان شعار الحزب الذي نجح في تأسيسها ان باكستان معناها كلمة التوحيد بمعنى ان الدولة انشئت واستقلت - لتكون كلمة الله فيها هي العليا . وحيث كانت المعاهد الثلاثة الشهيرة التي تقدم ذكرها في الهند لم يكن ولا واحد منها في باكستان التجاء اهل باكستان ان ينشئوا معاهد و مؤسسات على منوالها - فاستت الدولة جامعات وكليات على المنهج الجديد على منوال ماورثته من الكليات والجامعات وازافت اليها دراسة الدين في كل المراحل الابتدائية والثانوية والجامعة وصارت دراسة الدين موضوعا لازما في بعض المدارج واختياريا في بعض منها . كما انها نظمت في كل جامعة قسما للدراسات الاسلامية العليا يعين خريجوها اساتذة في ما يلتحق بها من الكليات وبهذا تحسن الامر مما كان عليه زمن سيطرة الانكليز .

اما معاهد المنهج القديم على طراز ديو بند فقد قام بتأسيسها العلماء في كل المدن الكبيرة والصغيرة في انحاء البلاد وقد احصاها بعض المؤلفين فعدها ما ينيف على تسعمائة مدرسة صغيرة وكبيرة من اشهرها دارالعلوم بكراتشي تحت اشراف المفتي محمد شفيع والمدرسة العربية بكراتشي تحت اشراف

الشيخ محمد يوسف البنورى والجامعة الاشرفية بلاهور تحت اشراف انجال المرحوم المفتى محمد حسن وبعضها جارية على المنهج القديم طابق النعل بالنعل والحققت ببعضها تعديلات قليلة ضئيلة .

اما المنهج المعدل فقد صرفت جهود فى سبيل تأسيس المعاهد عليها من قبل الدولة ومن قبل الشعب واشهر ثمرات هذه الجهود هى الجامعة الاسلامية ببهاولبور والكلية الاسلامية بجامعة بشاور ومن المتوقع ان يكون معهد ثالث على هذا المنوال ستؤسسها حكومة الكشمير الحرة بميربور وكاتب هذه المقالة كان مدرسا وعضوا للجنة المنهج فى الكلية الاسلامية منذ تأسيسها الى سنة ١٩٧٤ م ( ٢٥ سنة ) ومديرا فى السنوات الخمسة عشر الاخيرة و كان عضوا فى لجنة المنهج للمؤستين الاخرين .

هذا المنهج المعدل قرر فى جامعة بشاور على اساس ان لا يكون هناك تفريق بين المنهجين القديم والجديد الا كما يكون هناك فرق بين الاقسام الاخرى فى الكليات والجامعات الحكومية فكما ان هناك فسما لدراسة الهندسة وقسما لدراسة الطب وقسما لدراسة الآداب وقسما لدراسة الفنون كلها ملحقا بالجامعات فكذلك يكون قسم دراسة الدين ايضا ملحقا بها وتكون شروط التحاق الطالب به مثل شروط الالتحاق فى الاقسام الاخرى فلا يلتحق الطالب به الا اذا كان ناجحا فى الامتحان الثانوى بمدارس الحكومة وتكون سنوات الدراسة للفوز بشهادة بكالوريا اربعا تكون الانكليزية والاردية موضوعا من موضوعات الدراسة مثل شهادة الاداب ثم تكون بعد ذلك سنتان اخريان للفوز بشهادة الماجستير يدرس الطالب فيهما التفسير والحديث واصول الدين والفقه ومقارنة الاديان والتاريخ ويتمرن على كتابه المقالات .

اما المنهج فى جامعة بهاولبور فمبنى على ان يكون للطالب خبرة تامة بالعلوم الدينية والادب العربى مع الامام ببعض العلوم العقلية قديمها وحديثها ولذلك فقد وزعت الموضوعات الى ما تلزم والى ما للطالب فى قراءتها اختيار و

تضم هذه المجموعة الثانية السياسة والتاريخ والاقتصاد والادب العربى وللطالب خيار فى ان يختار اثنين منها وهناك اقسام للتخصص فى التفسير والحديث والفقہ والادب العربى وكلية للدعوة والارشاد . —

( ٨ )

بعد عرض الحالة الموجودة فى المعاهد على المنهج القديم اريد ان اعرض عليكم بعض المقترحات التى احب ان يتوجه اليه اعضاء المؤتمر ويظهروا رأيهم بشأنها .

الظاهر ان الدراسات الاسلامية عبارة فى اصل موضوعها عن القرآن الكريم تجويده وتفسيره وعن الحديث النبوى قراءة وفهمة واستنباط الاحكام منه وبالتالي عن الفقه والاجتهاد ولا تتم هذه الا ان تكون للطالب مهارة فى قواعد العربية وحوارها واصول الفقه والتفسير والحديث .

ثم ان العالم لا بدان تكون له قدرة على دفع الشبهات التى اقيمت وتقام حول العقائد الاسلامية قديما وحديثا فلا بد له من المهارة فى علم الكلام واقامة الادلة العقلية على مبادئ الدين ولكنه لا يستطيع دفع الشبه التى تنشأ عن علوم اليونان القديمة او عن علوم اوربا الجديدة بما فيها السياسة والاجتماع والاقتصاد والفلسفة بان يكون له علم تام بهذه العلوم حتى يتمكن من عرضها على العلوم الاسلامية ويدرك موضع الخطأ فيها اذا فلا بد له من معرفة هذه العلوم معرفة حقيقية فيعرف الآراء الجديدة فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والجغرافيا وغيرها من علوم الحكمة .

وكذلك يحتاج طالب الدراسات الاسلامية ان تكون له مهارة فى الالسنة التى يريد ان يفهم بها خطابة وكتابة واهما العربية والانكليزية الى غير ذلك من اللغات التى ربما تعن له الحاجة اليها فى التبشير فى البلاد الشرقية او الغربية وكذلك انه ربما يحتاج الى قراءة ما كتب فى اللغات الاجنبية عن الاسلام فيستفيد منه او يرد عليه .

هذا التنوع فى الطلب يحتاج الى ان يكون عندنا تنوع فى العرض اذ ليس من الممكن ان يقوم شخص واحد بالمهارة فى هذه الفروع كلها اذا فتحنا فى الحاجة الى :

- ١ - علماء مدرسين فى المعاهد الثانوية .
  - ب - علماء متخصصين فى فن من فنون العلوم الدينية لا لقاء المحاضرات فى كليات الدين او فى المعاهد الدينية .
  - ج - علماء فقهاء قادرين على ان يفتوا فى النوازل .
  - د - علماء محققين يستطيعون حل المسائل التى تحدث فى الظروف الحاضرة . ه - علماء مبلغين يخطبون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فى المساجد والحفلات .
  - و - علماء قادرين على الكتابة الادبية يؤلفون ويكتبون لافادة العامة .
  - ز - علماء مبشرين يستطيعون ان ينشروا الاسلام مثلا فى اليابان باللغة اليابانية واخرين فى كوريا باللغة الصينية واخرين فى افريقيا بلغاتهم واخرين فى امريكا باللغة الانكليزية ولا بد ان يكون لكل منهم معرفة تامة باديان الذين يريدون ان يقوموا بفريضة نشر الاسلام فيهم وان يكون منهم من يستطيع ان يرد على كتبهم الدينية ردا علميا فعارضوهم كما يعارضنا المستشرقون من المبشرين .
  - ح - علماء مبلغين يستطيعون معارضة الحركات الهدامة والجواب عن شبهاتهم وهؤلاء لابد ان يكون لهم خبرة تامة بحقيقة هذه الحركات يعرفون مواضع الضعف والنقص فيها وهؤلاء ايضا يكون تخصصهم موزعا فى حركة من هذه الحركات .
  - ط - وكذلك نحتاج الى سيدات وانسات عالمات يقمن بفريضة التبليغ والتدريس للسيدات وان تكون لهن معاهد خاصة بهن يتمرن فيها كما يتمرن الرجال فى المعاهد الخاصة بهم .
- اذا فلا بد لسد الفراغ فيما يعرض من هذه الحاجات من معاهد وجامعات

باقسام عديدة متنوعة يدر بون الطلاب حسب قواعد العرض والطلب وعلى المسلمين عامة وعلى القائمين بأمور الاول الاسلامية خاصة ان يقوموا بالواجب فى سبيل انشاء المعاهد واقسام الجامعات .

وختاما الفت انظار سادتكم ان ما كتبت فى هذه المقالة وان كان بخصوص باكستان ولكن الحقيقة ان هذه الحاجات تعم البلدان الاسلامية كلها وقد تفى جامعة الازهر وجامعة المدينة المنورة والجامعات الاخرى بالمملكة السعودية وجامعة بهاولبور بباكستان ببعض هذه ولكن الحاجة ماسة الى خطة جامعة ومشروع اوسع .

### المرجع

- ( ١ ) القول الفيصل عند الغزالي فى اراء الفلاسفة ان الهندسة والحساب علمان مباحان يشغل منهما بما نحتاج اليه والمنطق والالهييات جزء ان من علم الكلام . وقد انفرد الفلاسفة فى الالهييات بمذاهب بعضها كفر و بعضها بدعة . اما الطبيعيات فبعضها جهل يجب الاجتناب عنها وبعضها علم من المباحات ( احياء علوم الدين كتاب العلم ) ويقول ابن خلدون ان هذه العلوم ( علوم الفلاسفة ) عارضة فى العمران كثيرة فى المدن وضررها فى الدين كثير ولكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات ولا يلتفت اليها من يكون خلوا من العلوم الدينية الفصل السادس من الكتاب الاول الباب الرابع والعشرون .
- ( ٢ ) المكتبة الجغرافية ، الاصطخرى ص ٧٤ و ابن حوقل ص ٣٢٦ والمقدسى ص ٤٧٩ .
- ( ٣ ) مقالة ممتاز احمد بتان عن تاريخ الادب العربى فى عهد المملكة العربية فى السند فى تاريخ ادب المسلمين فى الهند وباكستان ( بالادوية ) المجلد الثانى ص ٥٢ .
- ( ٤ ) وهذا اللوح محفوظ فى متحف يشاور ونصه : هذا ما امر عقد بنسائه بن عمار تقبل الله منه صالح عمله وغفر له سوء عمله وقد كتب يوم الجمعة لثلاثة عشرة خلون من جمادى الاولى سنة ثلثة واربعين ومائتين صلى الله على محمد وال محمد الطاهرين ر : مجلة الكلية الشرقية بلاهور اغسطس سنة ١٩٤٢ م .
- ( ٥ ) مقالة الاستاد احسان الهى رانا عن الادب العربى فى عصر سلاطين دهلى فى تاريخ ادب المسلمين فى الهند و باكستان المجلد الثانى .
- ( ٦ ) غير انهم ذكروا فى سيرة القاضى منهاج الدين سراج صاحب تاريخ طبقات ناحرى انه كان مدرسا بالمدرسة الفيروزية والمدرسة الناصرية بدهلى .
- ( ٧ ) وراجع نزهة الخواطر لمبد العى الحسينى المجلد الثانى ص ٢٣ . ٢٨ . ١٥٩ ترجمة عبدالمقتدر وقاسم بن عمر ونصير الدين محمود .